

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ الثَّانِيَّةُ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

www.menhag-un.com



مِنْهَاجُ السُّوَعِيَّةِ

www.menhag-un.com

المسألة الرابعة: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ

* قُلْتُ: (الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ): وَذَلِكَ يَشْمَلُ كُلَّ دَاعٍ إِلَى حَقٍّ وَخَيْرٍ، وَيَشْمَلُ كُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَاهٍ عَنْ مُنْكَرٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْذَى، وَلَا بُدَّ أَنْ يُحَارَبَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُعَادَى؛ وَهِيَ طَرِيقُ الْأَنْبِيَاءِ وَسَبِيلُ الْمُرْسَلِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَحَبْسُهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَحَبْسُهَا عَنِ التَّسَخُّطِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ؛ فَيَحْبِسُ النَّفْسَ عَنِ التَّسَخُّطِ وَالتَّضَجُّرِ وَالْمَلَلِ، وَيَكُونُ دَائِمًا نَشِيطًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ، وَإِنْ أُؤْذِيَ وَعُودِيَ؛ لِأَنَّ أَذِيَّةَ الدَّاعِينَ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ طَبِيعَةِ الْبَشَرِ إِلَّا مَنْ هَدَى اللَّهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأُؤْذُوا حَتَّى أَنْتَهُمْ نَصَرْنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

وَكُلَّمَا قَوِيَتْ الْأَدِيَّةُ قَرَّبَ النَّصْرُ، وَلَيْسَ النَّصْرُ مُخْتَصًّا بِأَنْ يُنْصَرَ الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ، وَيَرَى أَثَرَ دَعْوَتِهِ قَدْ تَحَقَّقَ، بَلِ النَّصْرُ يَكُونُ وَلَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ قُبُولًا لِمَا دَعَا إِلَيْهِ، وَأَخَذًا بِهِ، وَتَمَسُّكًا بِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا يُعْتَبَرُ نَصْرًا لِهَذَا الدَّاعِيَةِ وَإِنْ كَانَ مَيِّتًا.

فَعَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يَكُونَ صَابِرًا عَلَى دَعْوَتِهِ، مُسْتَمِرًّا فِيهَا صَابِرًا عَلَى مَا يَعْتَرِضُهُ هُوَ مِنَ الْأَذَى، وَهَذَا هُمُ الرُّسُلُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ- أَوْذُوا بِالْقَوْلِ وَبِالْفِعْلِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]. وَلَكِنْ عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يُقَابِلَ ذَلِكَ بِالصَّبْرِ، وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ ﷻ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣]، كَانَ مِنَ الْمُتَنَظِّرِ أَنْ يُقَالَ: فَاشْكُرْ نِعْمَةَ رَبِّكَ، وَلَكِنَّهُ ﷻ قَالَ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٤]، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ قَامَ بِهَذَا الْقُرْآنِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ مَا يَنَالُهُ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ. وَانْظُرْ إِلَى حَالِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُّوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ﷺ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(١)، فَعَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يَكُونَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، ٥٤: ١٢، رَقْمُ ٣٤٧٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْجِهَادِ، ٣٧: ٦، رَقْمُ ١٧٩٢)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَنِي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي

﴿ قُلْتُ: لِأَنَّهُ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِ الْأَذَى.﴾

قَالَ تَعَالَى فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنِىْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، فَلَمَّا ذَكَرَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ أَنْتِ التَّوَصِيَّةُ بِالصَّبْرِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالصَّبْرُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

- ١- صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.
- ٢- صَبْرٌ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ.
- ٣- صَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الَّتِي يُجْرِيهَا: إِمَّا مِمَّا لَا كَسْبَ لِلْعِبَادِ فِيهِ، وَإِمَّا مِمَّا يُجْرِيهِ اللَّهُ عَلَى أَيْدِي بَعْضِ الْعِبَادِ مِنَ الْإِيذَاءِ وَالْإِعْتِدَاءِ.



نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْرِ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣].....

* قُلْتُ: ذَكَرَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- هَذِهِ الْأُمُورَ الْعَظِيمَةَ، وَجَعَلَهَا مَسَائِلَ، وَهِيَ مُسْتَنْبَطَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذَا دَلِيلُهَا، وَهُوَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَالدِّينُ كُلُّهُ: إِيْمَانٌ، وَعَمَلٌ، وَدَعْوَةٌ، وَصَبْرٌ؛ إِيْمَانٌ بِالحَقِّ، وَعَمَلٌ بِهِ، وَدَعْوَةٌ إِلَيْهِ، وَصَبْرٌ عَلَى الْأَذَى فِيهِ؛ هَذَا هُوَ الدِّينُ.

«الدِّينُ كُلُّهُ: إِيْمَانٌ، وَعَمَلٌ، وَدَعْوَةٌ، وَصَبْرٌ؛ إِيْمَانٌ بِالحَقِّ، وَعَمَلٌ بِالحَقِّ، وَدَعْوَةٌ إِلَى الحَقِّ، وَصَبْرٌ عَلَى الْأَذَى فِي الحَقِّ؛ فَهَذَا هُوَ الدِّينُ» (١)؛ قَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ.

«الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى وَالثَّانِيَّةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ فَإِنَّ الْإِيْمَانَ لَا يَكُونُ صَحِيحًا، وَالْعَمَلَ لَا يَكُونُ صَالِحًا، إِلَّا بِالْعِلْمِ بِأَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ.

(١) «شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِابْنِ بَازٍ (ص ٢٥).

وَالْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

وَالْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

فَجَمَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا هَذَا الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾: هَذَا قَسَمٌ بِالزَّمَنِ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾: الْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي الْإِنْسَانِ لِلِاسْتِغْرَاقِ وَلِلشُّمُولِ أَوْ لِلْجِنْسِ؛ فَجِنْسُ الْإِنْسَانِ أَوْ الْإِنْسَانُ كُلُّهُ مُسْتَعْرِقًا وَمَشْمُولًا بِالْخُسْرَانِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا، وَ(الْخُسْرُ): النُّقْصَانُ وَالْهَلَكَةُ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾؛ فَهُمْ الَّذِينَ اتَّوَا بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ، وَالِدَّعْوَةِ، وَالصَّبْرِ؛ الْإِيمَانُ بِالْحَقِّ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالِدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.

فَجَمَعَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْخَيْرَ مِنْ أَقْطَارِهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَالدَّلِيلُ): عَلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ، (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾): أَقْسَمَ اللَّهُ ﷻ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالْعَصْرِ الَّذِي هُوَ الدَّهْرُ، وَهُوَ مَحَلُّ الْحَوَادِثِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَأَقْسَمَ اللَّهُ ﷻ بِهِ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّ الْإِنْسَانِ فِي خُسْرٍ، إِلَّا مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ: الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ.

* قُلْتُ: لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَمَّا خَلْقُهُ فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُقْسِمُوا إِلَّا بِهِ، وَ«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١)، وَأَمَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيُقْسِمُ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا؛ يُقْسِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، يُقْسِمُ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٥: ٤، رَقْمُ ٣٢٥١)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٨: ٣، رَقْمُ ١٥٣٥)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢/ ١٢٥، رَقْمُ ٦٠٧٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (رَقْمُ ١٩٨٢٩)، مِنْ طَرِيقِ: الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ، رَجُلًا يَحْلِفُ: لَا وَالْكَعْبَةَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ».

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: «وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَسْمَعْهُ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ مِنْ ابْنِ عُمَرَ»، بَيْنَهُمَا الْكِنْدِيُّ، وَهُوَ: مَجْهُولٌ؛ فَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/ ٦٩، رَقْمُ ٥٣٧٥)، وَمَوَاضِعُ، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» (٢/ رَقْمُ ٨٣٠، ٨٣١)، مِنْ طَرِيقِ: عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَجِئْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَتَرَكْتُ عِنْدَهُ رَجُلًا مِنْ كِنْدَةَ، فَجَاءَ الْكِنْدِيُّ مُرَوَّعًا، فَقُلْتُ: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ أَنِفًا فَقَالَ: أَحْلِفْ بِالْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «أَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْلِفْ بِأَبِيكَ، فَإِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ».

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: «فَوَقَفْنَا عَلَى أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ قَدْ زَادَ فِي إِسْنَادِ هَذَا عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ رَجُلًا مَجْهُولًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَفَسَدَ بِذَلِكَ إِسْنَادُهُ».

وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (رَقْمُ ٢٥٦١): «وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِنْ سَلِمَ مِنَ الْانْقِطَاعِ».

وَالْحَدِيثُ أَصْلُهُ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الشَّهَادَاتِ، ٢٦: ٢، رَقْمُ ٢٦٧٩) وَفِي

مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ١، رَقْمُ ١٦٤٦)، مِنْ طَرِيقِ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ، بِلَفْظِ:

«أَلَا إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ».

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْعَصْرِ، يُقْسِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، أَمَّا خَلْقُهُ فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُقْسِمُوا بِشَيْءٍ سِوَاهُ، وَ«مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» (١). (٢).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - (٣):

«جِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

أَحَدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ».

* قُلْتُ: يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ بِدَلِيلِهِ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ لَوْ حَصَلَ هَذَا صَارَ رَبَّانِيًّا، وَدُعِيَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ كَبِيرًا؛ كَأَنَّهُ عَالِمٌ عَامِلٌ دَاعٍ إِلَى

(١) تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ.

(٢) «شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِابْنِ بَازٍ (ص ٢٦).

(٣) «زَادُ الْمَعَادِ» (٣/ ٩، مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ).

مَا عَلِمَهُ وَعَمِلَ بِهِ؛ فَيُدْعَى فِي مَلَكَوَتِ السَّمَوَاتِ كَبِيرًا^(١).

«وَهَذَا التَّرْتِيبُ - الَّذِي ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ حَيْثُ هُوَ لَا بِاعْتِبَارِ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَإِلَّا فَقَدْ يَكُونُ الصَّبْرُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ أَشَقَّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الطَّاعَةِ؛ إِذَا فُتِنَ الْإِنْسَانُ مَثَلًا بِأَمْرَةٍ جَمِيلَةٍ تَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهَا فِي مَكَانٍ خَالٍ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ، وَهُوَ رَجُلٌ شَابُّ ذُو شَهْوَةٍ؛ فَالصَّبْرُ عَلَى هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ أَشَقُّ مَا يَكُونُ عَلَى النَّفْسِ؛ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

وَأَيْضًا، الْإِنْسَانُ قَدْ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ يَكُونُ الصَّبْرُ عَلَيْهَا أَشَقَّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ؛ فَقَدْ يَمُوتُ لَهُ مَثَلًا قَرِيبٌ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ عَزِيزٌ أَوْ حَبِيبٌ؛ فَتَجِدُهُ يَتَحَمَّلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مَشَقَّةً عَظِيمَةً لَا يَجِدُ مِثْلَهَا فِيَمَا يَزَاوِلُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَلَكِنْ لَا يَتَحَمَّلُ هَذَا الْقَدْرَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ»^(٢).

فَالصَّبْرُ فِي أَقْسَامِهِ عَلَى حَسَبِ مَا مَرَّ ذَكَرُ ذَلِكَ، وَالْمَجَاهِدَاتُ الَّتِي تَكُونُ لِلنَّفْسِ بِتَنْزِيلِهَا فِي تِلْكَ الْمَرَاتِبِ الْمُخْتَلِفَةِ.

لَوْ نَظَرْتَ فِيهَا لَوَجَدْتَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى اعْتِبَارِ مَا هُوَ مِنْ حَيْثُ هُوَ صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، صَبْرٌ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، صَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الَّتِي يُجْرِيهَا عَلَيْهِ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الْعِلْمِ، ١٩: ٥، رَقْمُ ٢٦٨٥)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ، قَالَ: «عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَى كَبِيرًا فِي مَلَكَوَتِ السَّمَوَاتِ»، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْمَسِيحِ ﷺ.

(٢) «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَى كِتَابِ التَّوْحِيدِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَى وَرَسَائِلِ الْعُثَمِيِّينَ» (١٠/٦٩٠)، جُمِعَ وَتَرْتِيبُ فَهْدُ بْنُ نَاصِرٍ السُّلَيْمَانِ).

هَذَا التَّرْتِيبُ تَرْتِيبٌ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَأَمَّا بِاعْتِبَارِ مَنْ تَعَلَّقَ بِذَلِكَ فَقَدْ تَكُونُ الْمَشَقَّةُ فِي الصَّبْرِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْبَرُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي الصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ؛ فَيَأْتِي بِالطَّاعَةِ رَاغِبًا رَاهِبًا، وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْصِيَةِ فَإِنَّهُ يَتَنَعَّعُ فِيهَا شَدِيدًا، وَلَا يَنْكَفُ عَنْهَا إِلَّا بِشَقِّ النَّفْسِ، وَكَذَلِكَ الصَّبْرُ عَلَى الْقَدْرِ غَيْرِ الْمَوَاتِي قَدْ يَجِدُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا يُقَدَّرُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ مَشَقَّةٌ عَظِيمَةٌ لَا يَجِدُهَا فِيمَا يُزَاوِلُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ؛ فَيَخَفُ إِلَى الصَّلَوَاتِ، وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ فَقْدٍ عَزِيزٍ أَوْ حَبِيبٍ تَضَعُّعَ لِدَلِكِ جَدًّا، وَانْهَدَمَ كِيَانُهُ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ الشَّدِيدَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقْسَمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالْعَصْرِ عَلَى أَنْ كُلَّ إِنْسَانٍ هُوَ فِي خَبِيَّةٍ وَهَلَكَةٍ وَخُسْرٍ مَهْمَا كَثُرَ مَالُهُ وَوَلَدُهُ وَعَظُمَ قَدْرُهُ وَشَرَفُهُ، إِلَّا مَنْ جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ الْأَرْبَعَةَ:

أَحَدُهَا: الْإِيمَانُ، وَيَشْمَلُ كُلَّ مَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ اعْتِقَادٍ صَحِيحٍ، وَعِلْمٍ نَافِعٍ.

الثَّانِي: الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَهُوَ كُلُّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ بِأَنْ يَكُونَ فَاعِلُهُ لِلَّهِ مُخْلِصًا، وَلِمُحَمَّدٍ ﷺ مُتَّبِعًا.

الثَّالِثُ: التَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَهُوَ التَّوَاصِي عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ.

الرَّابِعُ: التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ بِأَنْ يُوصِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَى فِعْلِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَرْكِ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَتَحْمُلِ أَقْدَارِ اللَّهِ.

* قُلْتُ: الدِّينُ كُلُّهُ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ عِنْدَ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَعِنْدَ الْكَفِّ عَنِ الْمَعْصِيَّاتِ، وَعِنْدَ نَزُولِ الْأَقْدَارِ غَيْرِ الْمَوَاتِيَّاتِ؛ يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى الصَّبْرِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الشَّرْعِ الْأَغَرِّ.

وَالْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَصْبِرْ وَقَعَ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَتَرَكَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ يَتَضَمَّنَانِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا قِوَامُ الْأَمَّةِ وَصَلَاحُهَا وَنَصْرُهَا وَحُصُولُ الشَّرَفِ وَالْفَضِيلَةِ لَهَا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].



مِنْهَاجُ السُّوْعَى

مَعْنَى قَوْلِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ...»

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): (بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [سورة

محمد، الآية: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الشَّافِعِيُّ، هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شَافِعٍ الْهَاشِمِيِّ الْقُرَشِيِّ، وُلِدَ فِي غَزَّةَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةٍ، وَتُوفِّيَ بِمِصْرَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِئَتَيْنِ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى الْجَمِيعِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٢).

(١) فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْعِلْمِ، ١٠)، وَقَالَ: «لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ».

(٢) انْظُرْ: «التَّارِيخُ الْكَبِيرُ» (١/ رَقْمُ ٧٣)، وَ«الْكُنَى وَالْأَسْمَاءُ» (رَقْمُ ١٩٧٣)، وَ«الْجَوْحُ وَالتَّعْدِيلُ» (٧/ رَقْمُ ١١٣٠)، وَ«الثَّقَاتُ» لِابْنِ حِبَّانَ (٩/ رَقْمُ ١٥٠١٦)، وَ«الْإِتِّقَاءُ فِي فَصَائِلِ

مُرَّادُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ كَافِيَةٌ لِلْخَلْقِ فِي الْحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِدِينِ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالِدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ، وَلَيْسَ مُرَّادُهُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ كَافِيَةٌ لِلْخَلْقِ فِي جَمِيعِ الشَّرِيعَةِ.

* قُلْتُ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]: الَّذِي يُقْسِمُ هُوَ اللَّهُ، وَمَا الَّذِي يُحَوِّجُهُ ﷻ إِلَى الْقَسَمِ؟

لَا شَيْءَ، سُبْحَانَهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَلَكِنْ هَذَا لِتَأْكِيدِ الْقَضِيَّةِ عِنْدَ الْمُكَذِّبِينَ، ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿[العصر: ١-٢]، مَعَ الْإِتْيَانِ بِهَذِهِ الْمُؤَكَّدَاتِ مِنْ الْقَسَمِ وَالْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ، وَدُخُولِ (إِنَّ) الْمُؤَكَّدَةِ الْمُشَدَّدَةِ عَلَيْهَا.

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿، وَالْإِتْيَانُ بِ(ال) الَّتِي تُفِيدُ الْإِسْتِعْرَاقَ أَوْ تُفِيدُ الدَّلَالََةَ عَلَى الْجِنْسِ، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾، ثُمَّ الْإِتْيَانُ بِاللَّامِ، ثُمَّ الْإِتْيَانُ بِالظَّرْفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾؛ فَكَأَنَّ الْخُسْرَانَ قَدْ شَمِلَهُمْ حَتَّى غَرِقُوا فِيهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ»^(١)؛ لِأَنَّ الْعَاقِلَ الْبَصِيرَ إِذَا سَمِعَ هَذِهِ السُّورَةَ أَوْ قَرَأَهَا؛ فَلَا بُدَّ

الثَّلَاثَةِ الْأَيْمَةِ الْفُقَهَاءِ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ (ص ٦٥ - ١١٥، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ)، وَ«تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٢/ رَقْم ٤٠٤، تَبَشَّارٍ)، وَ«تَارِيخُ دِمَشْقَ» (٥١/ رَقْم ٦٠٧١)، وَ«تَهْذِيبُ الْكَمَالِ» (رَقْم ٥٠٤٩)، وَ«السِّيَرُ» (١٠/ تَرْجَمَةُ ١، ط الرِّسَالَةِ).

(١) ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ فِي «رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» (بَابُ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)، وَابْنُ الْقَيْمِ فِي «مِفْتَاحِ

أَنْ يَسْعَى إِلَى تَخْلِيصِ نَفْسِهِ مِنَ الْخُسْرَانِ، وَذَلِكَ بِاتِّصَافِهِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ: الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ.

البُخَارِيُّ، هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْبُخَارِيُّ، وُلِدَ بِبُخَارَى فِي شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةٍ، وَنَشَأَ يَتِيمًا فِي حَجَرٍ وَالدَّتِيهِ، وَتُوفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (خَرْتَنَك) بَلَدَةٍ عَلَى فَرَسَخَيْنِ^(١) مِنْ (سَمَرْقَنْد)^(٢)، لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ^(٣).

دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ٥٦، ط الْعِلْمِيَّة)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ٢٠٣) (٨/ ٤٧٩، دَارُ طَيْبَةِ).
(١) الْفَرَسَخُ مَقْيَاسٌ مِنْ مَقَايِسِ الْمَسَافَاتِ مِقْدَارُهُ: ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ (٥٥٤٤ مِثْرًا) = أَيُّ نَحْوًا مِنْ خَمْسَةِ كِيلُو مِثْرَاتٍ.

(٢) وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: (سَمْرَان)، مِنْ بُلْدَانِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ الْمَعْرُوفَةِ، وَكَانَتْ قَاعِدَةً بِلَادِ الصَّغْدِ شَرْقِيَّ بُخَارَى، خَرَبَهَا الْمُغُولُ سَنَةَ ٦١٦ هـ، ثُمَّ جَدَّدَ بِنَاءَهَا تَيَمُورْلَنكُ، وَاتَّخَذَهَا عَاصِمَةً لَهُ وَشَيَّدَ فِيهَا الْمَسَاجِدَ وَأَقَامَ الرُّبُطَ وَمَا زَالَ بَعْضُ ذَلِكَ قَائِمًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَهِيَ الْيَوْمَ تَقَعُ فِي وِلَايَةِ (أُوزْبِكِسْتَان) الرَّوْسِيَّةِ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ: ابْنُ بَهْرَامِ الدَّارِمِيُّ السَّمَرْقَنْدِيُّ مِنْ أَيْمَةِ حِفَاطِ الْحَدِيثِ، «مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ» (٣/ ٢٤٦ - ٢٥٠).

(٣) انْظُرْ: «الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ» (٧/ رَقْمُ ١٠٨٦)، وَ«الثَّقَاتُ» لِابْنِ حِبَّانَ (٩/ رَقْمُ ١٥٤٨٢)، وَ«الْإِرْسَادُ» (٣/ ٩٥٨)، وَ«تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٢/ رَقْمُ ٣٧٤)، وَ«الْإِكْمَالُ» لِابْنِ مَآكُولَا (١/ ١١٠)، وَ«طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ» (١/ رَقْمُ ٣٨٧)، وَ«الْأَنْسَابُ» لِلِسَمْعَانِيِّ (٢/ رَقْمُ ٣٩٣)، وَ«تَارِيخُ دِمَشْقَ» (٥٢/ رَقْمُ ٦٠٩٨)، وَ«تَهْذِيبُ الْكَمَالِ» (رَقْمُ ٥٠٥٩)، وَ«السِّيَرُ» (١٢/ تَرْجَمَةُ ١٧١).

اسْتَدَلَّ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ الْبِدْأَةِ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

* قُلْتُ: (بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)، (بَابُ): بِالتَّنْوِينِ؛ لِأَنَّهُ مَقْطُوعٌ عَنِ الْإِضَافَةِ؛ (الْعِلْمُ): مُبْتَدَأٌ، (قَبْلَ الْقَوْلِ): خَبَرُهُ.

وَيَا لِهَذَا مَاذَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُخَالَفَةِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمُخَالَفَةِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ فِيمَا صَاغَهُ الْبُخَارِيُّ تَرْجَمَةً لِلْبَابِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا دَلِيلٌ أَثَرِيٌّ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْلَمُ أَوَّلًا، ثُمَّ يَعْمَلُ ثَانِيًا.

* قُلْتُ: وَالَّذِي يَعْمَلُ أَوَّلًا أَوْ يَقُولُ أَوَّلًا، ثُمَّ يَبْحَثُ عَنِ الْعِلْمِ، لَا يَكُونُ إِلَّا خَاطِئًا فِي بَدْءٍ؛ فَيَأْتِي بِخَزَعَبَلَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَيُضِلُّ النَّاسَ ضَلَالَاتٍ، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِهَذِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]؛ فَذَكَرَ الْعِلْمَ أَوَّلًا؛ لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ أَوَّلًا قَبْلَ الْعَمَلِ وَقَبْلَ الْقَوْلِ.

قَبْلَ الْعَمَلِ تَعَبُّدًا وَحَرَكَةً وَمِنْهَاجًا لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ.

وَقَبْلَ الْقَوْلِ دَعْوَةً وَأَمْرًا وَنَهْيًا، لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ أَوَّلًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُنَاكَ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ نَظَرِيٌّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَوْلَ أَوْ الْعَمَلَ لَا يَكُونُ صَحِيحًا مَقْبُولًا حَتَّى يَكُونَ عَلَى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ.

وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّ عَمَلَهُ عَلَى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْعِلْمِ؛ وَلَكِنْ هُنَاكَ أَشْيَاءُ يَعْلَمُهَا الْإِنْسَانُ بِفِطْرَتِهِ؛ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ؛ فَإِنَّ هَذَا قَدْ فُطِرَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَلِهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى عَنَاءٍ كَبِيرٍ فِي التَّعَلُّمِ، أَمَّا الْمَسَائِلُ الْجُزْئِيَّةُ الْمُتَشَتِّرَةُ، فَهِيَ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَعَلُّمٍ وَتَكْرِيسٍ جُهْدٍ.

* قُلْتُ: هَلْ يَتَكَيُّ عَلَى هَذَا مَنْ يَتَكَيُّ فَيَقُولُ: أَنَا لَا أَدْعُو إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَا أَمُرُ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا أَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ حَتَّى أَتَعَلَّمَ.
هَذِهِ مَسْأَلَةٌ لَا تَنْضَبِطُ إِلَى مَتَى تَتَعَلَّمُ؟ هَذَا أَوَّلًا.

وِثَانِيًا: أَنَّهُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَسَبَ طَاقَتِهِ وَعِلْمِهِ.
فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ عَلَيْهِ قِسْطٌ مِنْ هَذَا الْوَاجِبِ مِنْ تَبْلِيغِ دِينِ اللَّهِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَالِدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَالْإِرْشَادِ وَالنَّصِيحَةِ فِيهِ، هَذَا وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ إِذَا رَأَى شِرْكَاً أَوْ سَمِعَهُ؛ فَيَدْعُوَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْ يَبْتَدِئُ الْجَاهِلَ بِتَعْلِيمِهِ تَوْحِيدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ، وَبِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَبِالزَّكَاةِ وَبِأَدَائِهَا، وَبِالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ عِنْدَ الْإِسْطِطَاعَةِ، يَأْمُرُ بِرِ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي كُلِّهَا، وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَلَّقَ بِهَا الْمُسْلِمُ فِي أَخْلَاقِهِ وَفِي سُلُوكِهِ.

يَدْعُو إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى حَسَبِ الْإِسْطِطَاعَةِ، يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ مَا يَعْلَمُ، لَا يَخْطِئُ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ، وَإِنَّمَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ مَا يَعْلَمُهُ،

وَيُؤَدِّي الْوَاجِبَ الَّذِي عَلَيْهِ بِالِدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا يَعْلَمُهُ وَيَجْتَهِدُ فِي أَنْ
يَكُونَ عَامِلًا بِمَا يَعْلَمُ؛ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَعَا
إِلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤَدَّى مِنَ الْخَلْقِ.



جامعة

مِنْهَاجُ السُّوَعِيَّةِ

www.menhag-un.com

المَسَائِلُ الثَّلَاثُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُهَا

المَسْأَلَةُ الْأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ لَنَا رَسُولًا

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ
الْمَسَائِلِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ^(١)، الْأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا بَلْ
أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ

* قُلْتُ: فَهَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ، (أَنَّ اللَّهَ

خَلَقَنَا)؛ هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْمُتَعَلِّقُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ: (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ
يَتْرُكْنَا هَمَلًا)؛ فَذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَلَّاقُ، وَهُوَ الرَّزَّاقُ، وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؛
فَذَكَرَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ؛ فَهَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَدَلِيلُ ذَلِكَ -أَعْنِي: (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا)-؛ سَمِعْتِي،

وَعَقْلِي:

(١) وَفِي نُسَخَةٍ: «تَعَلَّمْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ»، وَفِي نُسَخَةٍ: «تَعَلَّمْ هَذِهِ الثَّلَاثِ

مَسَائِلَ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ»، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

أَمَّا السَّمْعِيُّ فَكَثِيرٌ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] الآية.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَأَمَّا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا : فَقَدْ جَاءَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

* قُلْتُ: الْقِسْمَةُ الْعَقْلِيَّةُ تَقْتَضِي ثَلَاثَةَ أُمُورٍ هُنَا لَا رَابِعَ لَهَا:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]؛ فَذَكَرَ اثْنَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثِ؛ لِأَنَّهُ يُذَعِّنُ بِهِ الْمُخَالَفُ، وَيُقَرَّرُ بِهِ حَقُّهَا؛ الْقِسْمَةُ ثَلَاثِيَّةٌ هُنَا:

الأمر الأول: (أَنَا خَلَقْنَا بِدُونِ خَالِقٍ)، وَهَذَا لَا يُمَكِّنُ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِخَالِقٍ، كَمَا أَنَّ الْمُتَحَرِّكَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمُحَرِّكِ؛ فَالْقِسْمَةُ الْعَقْلِيَّةُ تَقْضِي بِهَذَا الْأَمْرِ؛ أَوَّلًا أَنَّا خَلَقْنَا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، وَهَذَا لَا يُمَكِّنُ، هَذَا لَا يَقْبَلُ؛ هَذَا مُمْتَنِعٌ.

الأمر الثاني: (أَنَا خَلَقْنَا أَنْفُسَنَا).

الأول أَنَّا خَلَقْنَا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ؛ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]؛ قِسْمَةُ عَقْلِيَّةٌ تَقْضِي ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

- إِمَّا أَنْ يَكُونُوا قَدْ خَلَقُوا، وَوُجِدُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، وَلَا مُوْجِدٍ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ.

- وَالثَّانِي مِنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ: أَنَّهُمْ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، خُلِقُوا بِدُونِ خَالِقٍ؛ هَذَا بَاطِلٌ؛ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ: هَذَا أَبْطُلُ؛ هَذَا أَفْسَدُ؛ لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يَمْلِكُ الْوُجُودَ أَصْلًا؛ فَكَيْفَ يُعْطِيهِ غَيْرُهُ؟!

يَعْنِي كَانَ مَعْدُومًا، ثُمَّ وَجَدَ فِي حَالِ عَدَمِهِ لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ، وَفَاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ؛ هَذَا أَفْسَدُ فِي الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ، وَفِي النَّظَرِ هَذَا لَا يَقْبَلُ؛ هَذَا مَرْدُودٌ؛ فَهَذَانِ أَمْرَانِ.

- إِذَا بَطَلَ الْأَمْرَانِ وَامْتَنَعَا تَعَيَّنَ الثَّالِثُ، وَهُوَ أَنَّا خَلَقْنَا الْخَالِقَ الْعَظِيمَ فَسَكَتَ عَنْ هَذَا، وَهَذَا الْمَسْكُوتُ عَنْهُ يُذَعِّنُ بِهِ الْمُخَالَفُ، وَيَقْرُبُهُ الْمُعَانِدُ؛ فَلَمْ يَذْكُرْهُ، وَتَرَكَهُ؛ لِذِلَالَةِ كُلِّ ذِي عَقْلٍ بِعَقْلِهِ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَخْلُقْ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ قَبْلَ وُجُودِهِ عَدَمٌ، وَالْعَدَمُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لَا يُوجَدُ شَيْئًا، وَلَمْ يَخْلُقْهُ أَبُوهُ وَلَا أُمُّهُ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ؛ وَلَمْ يَكُنْ لِيَأْتِي صُدْفَةً بِدُونِ مُوجِدٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحَدِّثٍ، وَلِأَنَّ وُجُودَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى هَذَا النِّظَامِ وَالتَّسَاقُ الْمَتَالِفِ يَمْنَعُ مَنَعًا بَاتًا أَنْ يَكُونَ صُدْفَةً.

إِذِ الْمَوْجُودُ صُدْفَةً لَيْسَ عَلَى نِظَامٍ فِي أَصْلِ وُجُودِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُنْتَظَمًا حَالَ بَقَائِهِ وَتَطَوُّرِهِ؟!

فَتَعَيَّنَ بِهَذَا أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ فَلَا خَالِقَ وَلَا أَمَرَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ أَنْكَرَ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ ﷻ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمُكَابَرَةِ كَمَا حَصَلَ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَعِنْدَمَا سَمِعَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ سُورَةَ الطُّورِ، فَبَلَغَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [٣٥] أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصْطَرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]، وَكَانَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ (١) يَوْمَئِذٍ مُشْرِكًا، فَقَالَ: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي» (٢).

(١) هُوَ شَيْخُ قُرَيْشٍ، جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ بْنِ عَدِيٍّ، أَبُو مُحَمَّدٍ، ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، لَهُ صُحْبَةٌ وَرَوَايَةٌ،

مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، انْظُرْ: «الْإِسْتِيعَابُ» (١/ رَقْمُ ٣١١)، وَ«تَهْدِيبُ الْكَمَالِ» (٩٠٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَغَازِي، ١٢: ٢٦، رَقْمُ ٤٠٢٣) وَفِي (التَفْسِيرِ، ٥٢: ٢، رَقْمُ ٤٨٥٤)،

* قُلْتُ: (وَرَزَقْنَا): الرِّزْقُ: اسْمٌ لِمَا يَنْتَفِعُ بِهِ كُلُّ مُرْتَزِقٍ^(١)؛ وَهُوَ نَوْعَانِ خَاصٌّ وَعَامٌّ:

أَمَّا الرِّزْقُ الْعَامُّ: فَهُوَ مَا بِهِ قِيَامُ الْبَدَنِ وَمَسِيرَةُ الْحَيَاةِ، سَوَاءً كَانَ حَلَالًا أَمْ حَرَامًا، وَسَوَاءً كَانَ الْمَرْزُوقُ مُسْلِمًا أَمْ كَانَ كَافِرًا؛ فَهَذَا كُلُّهُ رِزْقٌ؛ يُسَمَّى رِزْقًا بِالْمَعْنَى الْعَامِّ.

وَأَمَّا بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ فَالرِّزْقُ بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ: هُوَ الرِّزْقُ الْحَلَالُ الَّذِي يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَبِعَةٌ فِيهِ إِذَا كَانَ عَوْنًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؛ فَلَا تَبِعَةٌ فِيهِ وَإِنْ كَثُرَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

قَوْلُهُ: (وَرَزَقْنَا): قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَدَلَّةٌ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْعَقْلِ:

أَمَّا الْكِتَابُ: فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤].
وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]،
وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

وَمُسْلِمٌ فِي (الصَّلَاةِ، ٣٥: ١٤، رَقْمُ ٤٦٣).

(١) «الصَّحَاحُ» (٤/ ١٤٨١)، وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» (رَزَقَ) (١٠/ ١١٥)، وَ«الْقَامُوسُ» (١/ ٨٨٦).

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ فِي الْجَنِينِ: «يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكِتَابِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ»^(١).

وَأَمَّا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ رَزَقَنَا: فَلَا نُنَا لَا نَعِيشُ إِلَّا عَلَى طَعَامٍ وَشَرَابٍ، وَالطَّعَامُ وَالشَّرَابُ خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمَغْرُمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿[الواقعة: ٦٣-٧٠].

فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانٌ أَنَّ رِزْقَنَا طَعَامًا وَشَرَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ.

قَوْلُهُ: (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا): قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ، وَالْعَقْلِيَّةُ:

أَمَّا السَّمْعِيَّةُ: فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿[المؤمنين: ١١٥-١١٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿[القيامة: ٣٦-٤٠].

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَلِأَنَّ وُجُودَ هَذِهِ الْبَشَرِيَّةِ لِتَحْيَا ثُمَّ تَمْتَعُ كَمَا تَمْتَعُ الْأَنْعَامُ ثُمَّ تَمُوتُ إِلَى غَيْرِ بَعْثٍ وَلَا حِسَابٍ أَمْرٌ لَا يَلِيقُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ، بَلْ هُوَ عَبَثٌ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْقَدَرِ، ١: ١، رَقْمُ ٦٥٩٤) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْقَدَرِ، ١: ١، رَقْمُ

(٢٦٤٣)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَعْرِفُ بِحَدِيثِ: «الْصَادِقِ الْمُصَدَّقِ».

مَحْضٌ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ، وَيُرْسِلَ إِلَيْهَا الرُّسُلَ، وَيُبَيِّحَ لَنَا
 دِمَاءَ الْمُعَارِضِينَ الْمُخَالِفِينَ لِلرُّسُلِ ﷺ، ثُمَّ تَكُونُ النَّتِيجَةُ لَا شَيْءَ، هَذَا
 مُسْتَحِيلٌ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ.



مِنْهَاجُ السُّوَعِيَّةِ

www.menhag-un.com